بسم الله الرحمن الرحيم

"النجاة من الفتن"

حذر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الفتن، والمراد الفتن العامة التي لم يتبين الحق فيها، أو تبين الحق فيها لكن لا تحمد عاقبة الدخول فيها، وقد دل القرآن والسنة على أسباب السلامة والنجاة من الفتن، وسأعرض لك ذلك .

١-من أعظم أسباب السلامة بل هو أعظم أسباب السلامة من الفتن: الاعتصام بالكتاب والسُّنة قال عز وجل:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[آل عمران:١٠٣] قيل: إن حبل الله هو القرآن، وقيل: حبل الله الإسلام، وجاء عند البيهقي والحاكم أن النبي ﷺ قال: ((تَرَكْتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي)).

وجاء في حديث علي رضي الله عنه المشهور عند الترمذي وهو حديث فيه مقال قال: ((ستكون فتن قالوا: فما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم)).

والمراد بالاعتصام بالكتاب والسُّنة الرجوع إليهما وتعظيمهما، والإقبال على قراءة القرآن وتدبره والعمل به وحفظه في الصدور ، والإقبال على السُّنة وحفظها والوقوف على فِقْهِهَا فإن لهذا أثرًا في النجاة من الفتن ؛ لأن الوحي نور وبهذا النور تنقشِع ظلمات الفتن أمام العبد فإن لم يكن مع العبد نور ..نور الوحي.. نور القرآن والسنة فإنه يكون مع أهل الظلمات.

٢- من أعظم أسباب السلامة من الفتن: لزوم جماعة المسلمين ففي حديث حذيفة أنه قال:" كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مَخافةَ أن يُدْرِكَني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فأتى الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم)) قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: ((نعم وفيه دَخَن.)) قلت: وما دَخَنُه؟ قال: ((قومٌ يهدون بغير هديي ويَسْتَنُّون بغير سنتي تعرف منهم وتُنْكِر.)) قلت: فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: ((دُعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.)) قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.)) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: ((فاعتزل

تلك الفرق كلها ولو أن تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)). رواه البخاري.

فالنبي ﷺ وَجَّه حذيفة وأوصاه عند نزول الفتن بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

وقال بعض المفسرين أن المراد بحبل الله في قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران:١٠٣] : الجماعة.

وجاء في حديث الافتراق المشهور عند أصحاب السنن والإمام أحمد وفيه: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.)) قالوا:" من هي يا رسول الله؟ في رواية أنه قال: ((الجماعة)).

ولهذا المؤمن إذا أراد السلامة عند حصول الفتن فيلزم جماعة المسلمين، وقد جاء الترغيب في لزوم جماعة المسلمين، فجاء عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : ((من أراد بَحْبُوحَة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.)).

وجاء أيضًا عند أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((الجماعة رحمة والفُرقة عذاب)) .

وجاء أيضًا عند الترمذي وغيره: ((ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم: أن تُناصِحوا ولاة الأمور وأن تَلْزَمَ جماعة المسلمين)).

ولهذا الوصية للمؤمن أن يحرص على لزوم جماعة المسلمين عند نزول الفتن.

٣- من أسباب السلامة من الفتن التَّثَبُت والتبين والتريث عند الحكم على الأشخاص والوقائع والأحوال والرايات فإنه قد تظهر في المجتمع أو في مجتمعات المسلمين رايات جديدة، شخصيات جديدة أحوال جديدة وقائع جديدة ماذا يفعل المسلم؟ يَتَرَيَّث في الحكم عليها حتى يتأمل وينظر إن كان من أهل التأمُّل والنظر أو رجع إلى العلماء الراسخين في معرفة الحكم على هذه الوقائع والأحوال والرايات والشخصيات واليوم كثير من الناس يتعجلون في الحكم على الأحوال والوقائع والرايات والشخصيات بل بعضهم يتأثر بها أو ينخرط فيها أو يعتقد عقائدها ثم يورط نفسه في مقالات أو مواقف أو قرارات لا تُحْمَدُ عقباها ؛ ولهذا التريث والأناة مما يُحَبُّ ويُحْمَد. قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم لأَشَجِّ بن عبد القَيْس :

((إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلْمُ والأناة.)) .

وروى مسلم أن المُسْتَوْرَد القرشي قال عند عمرو بن العاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى ﷺ يقول : ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)) فقال له عمرو بن العاص:" أَبصِر ما تقول" فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. فقال عمرو:" إن فيهم لَخِصالًا - يعني الروم – وذكر منها إنهم لأحلم الناس عند فتنة".

والله عز وجل أمر بالتثبت والتبين كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [الحجرات:٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [النساء:٩٤]، وعند البيهقي : ((الحِلْم من الله أو الأناة من الله والعَجَلَة من الشيطان)) ، ومن يتأنَّ ويتثبت ويتمهل في كل أحواله إلا في شأن الآخرة فإن المطلوب في شأن الآخرة المسارعة والمسابقة ﴿وَسَارِعُوا...﴾ [آل عمران:١٣٣] و﴿سَابِقُوا...﴾ [الحديد:٢١] لكن المراد هنا ما يكون من الأحوال والوقائع والرايات والشخصيات في الغالب أن الذي يتأنى ويتمهل ويتريث لا يندم. من الذي يندم؟ الذي يندم هو الذي يتعجل؛ ولهذا تقول العرب:

" العجلة أُم الندامات" وبعضهم يقول:" العجلة أُم الرذائل.

٤– من أسباب السلامة من الفتن: الإقبال على العبادة جاء عند مسلم: ((بادِروا بالأعمال فِتنًا)) وجاء أيضًا: ((العبادة في الهَرْج- يعني في الفتن- كهجرةٍ إلي)) ولماذا كان ذلك؟ لأن الناس في الفتن ينصرفون عن العبادة وينشغلون عن الخير فكان المُوَفَّق هو الذي ينصرف إلى الخير وينشغل بالعبادة وواقع الناس يدل على هذا فإن الناس لما فُتِحَتْ عليهم المُلْهيات والصوارِف والشواغل أقبلوا عليها واشتغلوا بها وانصرفوا عن طاعة الله ولهذا تدخل المساجد مثلًا فقَلَّ ما تجد الذاكر والتالي والمصلي أعني النافلة والسبب في هذا أن الناس انشغلوا بهذه الفتن التي فُتِحَتْ عليهم.

٥– من أسباب السلامة من الفتن: الإقبال عن النَّفْس والانشغال بها وقد جاء عند الترمذي: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) وجاء في حديث أبي ثعلبة الخُشَني عند الترمذي أيضًا أن النبي ﷺ قال: ((إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا وهَوىً مُتَّبَعًا ودنيا مُؤْثَرة وإعجاب كُلِّ ذي رأيٍ برأيه فعليك بخاصة نفسك ودَعِ العَوَام)).

والمؤمن في زمن الفتن يُقْبِلُ على نفسه بإصلاحها وتقويمها وتهذيبها وتزكيتها والمؤمن المُوَفَّق هو الذي ينشغل في حياته عمومًا بما سَيُسْأَلُ عنه يوم القيامة والمَخْذول هو الذي ينشغل بما لا يُسْأَلُ عنه يوم القيامة وينشغل بهذه الأمور التي تشغله عن أشياء سَيُسْأَلُ عنها يوم القيامة؛ لهذا المؤمن المُوَفَّق هو الذي يُقبِل على خاصة نفسه ويترك عنه فُضول المُخالَطَة، و فُضول المُخالَطَة اليوم ليست في المجالس فقط رُبَّما الإنسان يجلس وحده لكنَّ فُضول المُخالَطَة في هذه الوسائل وسائل الاتصال والتواصل هذه أجهزة تنفع من جانب لكنها تضر من جوانب والذي يرى حال الناس يرى أنهم غَلَّبوا جانب ما يضر على جانب ما ينفع فَصَرْف الأوقات في فُضول المُخالَطَة بالإقبال على هذه الوسائل ومتابعة كل شَيْء ما يضر أكثره وما لا ينفع أكثره وما لا فائدة فيه أكثره . هذا له تأثير على القلب وعلى الأحوال وعلى السلوك والإنسان كلما خلا بنفسه وَوُفِّقَ للخَلْوَة بربه ولو شيء يسير من يومه وليلته فإن في ذلك خيرًا عظيمًا له في إصلاح قلبه وتزكية نفسه وتطهير جوارحه.

٦- من أسباب السلامة من الفتن الصبر وجاء في البخاري: ((من رأى من أميره شيئًا يكرهُهُ فليصبر)).

وجاء في الحديث: ((سيأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجَمْر)) فالمسألة تحتاج إلى صبر : صبر على طاعة الله وصبر على معصية الله وصبر على أقدار الله المُؤلِمة فإذا لم يكن عند الإنسان صبرٌ فَرَّطَ في الطاعة وارتكب المعصية وسَخِطَ على أقدار الله المؤلمة.

٧– من أسباب السلامة من الفتن دعاء الله وسؤاله واللجوء إليه سبحانه، وقد جاء في صحيح مسلم: ((تَعَوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)).

وكان من دعاء النبي ﷺ كما عند الإمام أحمد: ((وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون)).

وجاء الإشارة إلى هذا في قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما كما عند أبي شيبة أنه قال:" سيأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغَرَق" يعني دعاء الخائف الوَجِل المُقبِل المُتَعَلِّق بالله عز وجل؛ ولهذا يحرص المؤمن على أن يُكْثِر من دعاء الله عز وجل وسؤاله؛ لأن زمن الفتنة هو زمن التقلُّب والتغيُّر والتحوُّل والمؤمن غايته ومطلوبه أن يلاقيَ الله عز وجل وهو على الإيمان والتوحيد.

نسأل الله أن يحفظنا بحفظه، ويميتنا على التوحيد والسنة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.